داخل اللحظة القاسية

مريد البرغوثي

سكون مفاجىء !
وفي أسفل الجدول الضحل
نام الحصى متعبا ،
ضفة ، عشبة ، جسد ، وارتطام
وخيطان من دمه
والرياح
تحط على الارض هامدة
كقطار يحاذي ببطء رصيف الوصول
الاخير ...
ولكننا لم نصل بعد !
هل ضيعتنا الطريق الطويلة ؟
أم اننا قد اضعنا الخطى ؟
هل هو القصد ؟
أم ان بين النوايا وبين اليدين
هواء بعيدا ، وهذي الدماء القريبة ؟
أكاد أصيح بأن الطريق التي بايعتنا
تناءت بنا
وهذي النهايات كانت بداياتنا
وان سؤالي حزين
يهاجمه الليل والجوع ، ان سؤالي
يواجه هذا الصقيع وحيدا
وتهمسه النفس للنفس
بين قتيلين ، بين حصارين
بين الحدود التي راوغتني
وبين المدى والركام .
هو الهول في أوجه ، والسؤال
يلح على النفس :
من أين ابدأ ثانية ، بعد هذا الختام ؟

★★★

سكون يفاجىء غيري
قطار يغادرني
واقفا ، في اختلاط الرصيف
بقربي متاعي ، وحملي : الوف من الناس قتلى
مكثت على جانب من رصيفي طويلا
فصرت رصيفا
وبعض الذين منحت يديهم يدي
لهم وطن في اتباع النعيم
ولي وطن .. في .. الرصيف !
سينقض هذا الصقيع علي
وهذا الجفاف
يصارع
روحي :
(سأحمل روحي على راحتي) *
(والقي بها في مهاوي الردى)
(فاما حياة تسر الصديق)
(واما ممات يغيظ العدى)
لعمرك هذي حياة تغيظ الصديق
وهذا ممات « يسر العدى »
لأن « الحكومة » تحمل روحي
وتلقي بها في مهاوي الردى !

★★★

مناخ يباغت من يطمئن الى صحوه
وماء كثير ، وحبل تنصل من دلوه
فمن سوف يسقي ؟
ومن سوف يحفر بئرا جديدة ؟
سأسأل حتى يكون الجواب
وأسأل حتى أكون الجواب
معي من ارادوا لك الماء والعشب
والضوء
هاتي يديك امنحيني زمانا جديدا
وهاتي يديك لاعطيك مني زمانا جديدا
واجعل نفسي تغالب حزني
فأبني وأبني
ولا تتركيني على ضفة الجدول الضحل
ملقى !
فُتنت بك الآن ، يا سيدتي ،
ترقين حتى تصيري شعاعا وحيدا
مثلما دائما
وتقسين ثم تصيرين شمسا
لك الكل ، والكل منجذب في مدارك
حتى تلاقت عليك النقائض في أوجها
حلوة مَرّة ، مُرّة مَرّتين
فمن سوف يفلت منك ؟ واين ؟!
رمانا جفاف مفاجىء
ونام الندى في مساء مفاجىء
وران سكون مفاجىء
ولا شيء عندي مفاجىء !
ويا حلوتي نحن لسنا سواء
واني احبك اذ تعرفين الصفوف
فما أنت محبوبة للجميع
ولكن منا حبيبا
رماه الرصيف الى بعض هذا الرصيف
ومنا حبيب دعي
ومنا حليف عدو
ومنا حليف حليف
ومنا كبار البلاط
ومنا يد
لاختبار السياط
على ظهرك الحر / باسم المحبة !
اشهد اني أحبك
لا للجمال ولا للقداسة
لا للامومة لا للحنين
ولا للعذوبة ،
لكن
لأني اذا لم أحبك ، مت على الفور
فوق الرصيف !

مريد البرغوثي